الأمير عبدالقادر الجزائري زعيم المقاومة المتنور
فخري سعيد، هند ، المجلد الثاني عشـر، العدد 2، ماي 2021،
ص ص 89-97

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الأمير عبدالقادر الجزائري زعيم المقاومة المتنور

Emir Abdel Kader El Jazairi Enlightened Resistance Leader

هند فخري سعيد (*)

جامعة الموصل – كلية التربية الأساسية – قسم التاريخ، العراق

dr.haindfakhry@gmail.com

تاريخ الإيداع: **30** /2020/12 تاريخ القبول: 2021/03/28 تاريخ النشر: 2021/05/30

الملخص:

نسعى من خلال هذه الدراسة ابراز جانب مهم ومضيء من شخصية الأمير عبدالقادر الجزائري, بوصفه أنموذج لزعيم المقاومة الجزائرية بروح العروبة والإسلام المنفتحة على محيطها بكل فهم وإدراك منطلقة من استيعاب القدرات المتاحة وتوظيفها لخدمة المقاومة الجزائرية, وخلق نهضة جزائرية من واقعها مع الانفتاح على تجارب الأمم الأخرى بما يتناسق ويتلائم مع ذلك الواقع الجزائري , فاكتسبت هذه الشخصية صفة العالمية كونها صورة نقية لقائد المقاومة المسلم العربي المتنور.

الكلمات الدالة:

الأمير عبدالقادر الجزائري، احتلال الجزائر، الاستعمار الفرنسي، المقاومة الجزائرية.

Abstract:

The aim of this paper is to highlight an important, Brightside of the character of Abdel Kadir el Jazairi as a symbol of Algerian resistance leader: the free sprit of Arabian and Islam with conception and realization of his available potentials and use it the benefit of Algerian resistance. Created Algerian renaissance to open on the experiments of other nations in accordance with Algerian reality. This character is globalized because it is the bright image of enlightened Arabian muslim resistance leader.

Key Words:

Emir Abdel Kadir El Jazairi, Occupying Algeria, French, Colonization, Algerian resistance.

****

(*) المؤلف المرسل: **فخري سعيد، هند** dr.haindfakhry@gmail.com

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

1 - إشكالية البحث:

الاشكالية التي نبغي حلها من خلال هذه الدراسة هي كشف حقيقة أصبحت مغيبة تتعلق بالشخوص العربية والإسلامية البارزة وبالأخص الذين لمعت أسمائهم في مقاومة المستعمر، انهم قادة وأبطال يدافعون عن اراضيهم وأوطانهم بما يمليه عليهم دينهم الإسلامي الحنيف وهذه الحقيقة لا تتنافى مع كونهم يحملون فكر نير ومنفتح على الآخر ويميزون في تعاملهم بين الذين ينهض بأوطانهم وبين الذي يرزخ على صدورهم, وفي الأمير عبدالقادر نموذج صارخ بهذه الحقيقة.

2- هدف البحث:

ان تبقى في الذاكرة العربية والمسلمة وليس الجزائرية فحسب شخصية الأمير عبدالقادر نموذجا حياً يحتذى بها وتكون قدوة للأجيال بكل ملامحها الفريدة التي يصعب تكرارها.

3- البيانات المستخدمة:

نعتمد في هذه الدراسة على جملة مصادر تتناول تاريخ العرب الحديث عامةً وتاريخ الجزائر والأمير عبدالقادر الجزائري خاصة.

4- المنهجية المتبعة:

المنهج الوصفي التحليلي لشخصية الأمير عبدالقادر الجزائري والظروف المحيطة به للوصول إلى هدف البحث.

5- موجز عن نتائج البحث:

أ. الأمير عبدالقادر شخصية عالمية بسلوكها الإنساني والقيادي.

ب. نموذج يمكن الاقتداء به في القيادة الدينية والدنيوية.

ج. الزعيم الناجح هو الذي يتقبل الواقع ويحوله إلى دافع للتطوير والنهوض وهذا ما طبقه الأمير في سعيه لبناء دولة الجزائر الحديثة.

6- القيمة المضافة للبحث:

ابراز صفة الانفتاح على الآخر والعقل المتنور التي يتصف بها الأمير عبدالقادر الجزائري.

المقدمة:

شخصية الأمير عبدالقادر الجزائري من الشخصيات العربية التأريخية المركبة باتقان كونها عاشت في مرحلة حرجة (الاستعمار الفرنسي للجزائر وحركة المقاومة) استوعبت فيها مختلف المتغيرات المحيطة بها. شخصية تجاوز تأثيرها المحيط المحلي الجزائري لتكتسب صفة

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

العالمية كونها أنموذج لزعيم المقاومة المسلم العربي المتنور. ملامح هذه الشخصية كانت كفيلة لتلتصق بأذهان الكثيرين من القراء والمهتمين والباحثين, الأمير عبدالقادر الجزائري يعني مقاومة المحتل والجهاد ضد المستعمر، المتصوف المتعلم المتنور الذي لملم واقعه وغازل المحيط بأدراك وفهم، لم يكن منغلق بوجه الآخر أعطى دروس في الفهم والاستيعاب لقدراته وكيف يستنبط منها القوة لمواجهة الأقوى.من خلال ما سنستعرضه من الفقرات التالية التي تمثل صفات تحلى بها الأمير ومحطات عاشها جميعاً سنتلمس بها شخصيته المتنورة بامتياز.

أولاً: الأمير عبدالقادر الجزائري (النشأة والتصوف):

ولد الأمير عبدالقادر عام 1808م في قرية (القيطنة) من أعمال وهدان في الجزائر من أسرة صوفية مرابطية والده الشيخ محيي الدين رئيس الطريقة القادرية من قبيلة بني هاشم العربية النازلة قرب مدينة معسكر عاصمة وهران القديمة [(1)].

أعطت هذه البيئة الدينية ذات السمة الصوفية الكثير لبناء شخصية الأمير من خلال التشرب بتعاليم الدين الإسلامي النقية ومن منابعها الصافية. فقد رافق الأمير والده في رحلاتها إلى البلاد العربية والتي مر فيها لأداء فريضة الحج فكانت كفيلة لصقل صفات الأمير الأخلاقية والدينية مع ما شاهده وواجهة من تنوع البلدان والبيئات.اكسبته رحلاته إلى الحجاز والعراق ومصر وتونس [(2)] خزين من المؤثرات أمعنت في تركيب شخصيته المتميزة بانفتاح ذهنه لتلقي المفيد من المحيط.

وقد ظهر هذا جلياً في مسلكه الصوفي, حيث أخذ الأمير عبدالقادر أكثر من طريقة صوفية (القادرية من والده وبغداد, النقشبندية من مكة ودمشق, الشاذلية من مكة), علماً أن هذا الأمر له ضوابطه عند أهل التصوف فلا يجوز الانتقال من شيخ مربي كامل إلى آخر إلا إذا كان هذا الانتقال عن إذن باطني أو ارشاد الشيخ بأن يقول للمريد فتوحك ليس عندي فاذهب إلى فلان, على أساس أن المريد لا ينتفع. إذا جمع في سلوكه بين شيخين [(3)] إلا ان هدف الأمير من الانفتاح على أكثر من طريقة دون قيود أو تشدد كان من باب كسب العلم والاطلاع على الطرق ونهل المعارف من مشايخها لتوسيع مداركه والاحاطة بعلوم الدين بقدر المستطاع, فكانت نتائج سلوكه هذا مبهرة جعلت من عقلية الصوفية عقلية واسعة متبحرة بعلوم الدين أعانته في حياته الجهادية الطويلة.

فقد أخذ الأمير من كل اتجاه طرف استعان به على تحقيق غايته التي توضحت شيئاً فشيئاً [(4)].

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

ثانياً: الإمارة عند عبدالقادر الجزائري (ربط الاتحاد بالجهاد):

لازمت المحن الأمير منذ مطلع شبابه وفتوته, فقد اعتذر والده عن الامارة لكبر سنه وعدم قدرته على ثقلها الكبير [5].يصف الشيخ محي الدين والده عبدالقادر موضحاً صفاته التي تؤهله وبجدارة لتولي الامارة: ((ولدي عبدالقادر شاب فطن صالح لفصل الخصومة ومداومة الفروسية مع كونه نشأ في عبادة ربه)). ويواصل كلامه: ((أن قيام ولدي بالامارة أشد من قيامي وأصلح فراعيت عدم التفريط والافراط, وأني أعلم بانه لمعالج كبيركم وصغيركم وأثبت مني وأقدر على مكابدة المشاق والتعب والسهد وغيرها من الأمانة فكونوا معه يداً وعضواً)) [6].

جاءت ثقة الوالد بولده لما يتحلى به من حسن الصفات وثبات السلوك, فقد اتسم برجولته وجرأته وفروسيته كما كان خطيباً مفوهاً وكاتباً مجيداً [7].تولى الامارة بعد مبايعته في شهر نوفمبر 1832م [8], في وقت كان الاحتلال الفرنسي يجثم على صدر الجزائر والتي كانت تعيش انقسامات ونزاعات قبلية.

لكن الامير عبدالقادر كان مستوعب لهذا الواقع متيقناً أن توحيد الشعب الجزائري هي الخطوة الأولى الراسخة لتحرير واستقلال الجزائر, وهذا ما أكده في رسالته إلى القبائل قبل البيعة, التي جاء فيه: ((... مؤملاً أن يكون واسطة لجمع كلمة المسلمين ورفع النزاع والخصام بينهم, وحماية البلاد من العدو ... فلذلك ندعوكم لتتحدوا وتتفقوا جميعاً)).

فكانت نظرية الأمير لواقع الجزائر والاستعمار هي ارتباط الاتحاد بالجهاد [9] توحيد الداخل الجزائري لمواجهة المستعمر بقوة لا تهزم فكان الأمير عبدالقادر كما وصفه الضابط الفرنسي الأسير ماسو: ((ان عبدالقادر قائد شعبي والقبائل تحترم هذا القائد الفذ أكثر مما تخافه لا شك في انه استطاع ان يفرض سلطته بالقوة ولكنه نجح في تجسيد آمال الشعب)) [10].

ثالثاً: النهوض بالجزائر وبناء دولة قوية (مطالعة التجارب والنهوض من الداخل):

كانت الخطوة الثانية التي انتهجها الامير في سلوكه الواعي لحكم الجزائر هو بناء دولة قوية منظمة قادرة على مواجهة دولة فرنسا المتطورة المتمدنة ليس عسكرياً فحسب بل بالنهوض بالجزائر وتنظيم افرادها وحياتهم ليكونوا مؤهلين لفهم وادراك عدوهم الذي يفوقهم نهضتاً وتنظيماً. وان استيعاب هذه الحقيقة لا يعني الرضوخ والقبول بتفوق العدو بل هو يقين بالواقع والنهوض به فكانت أولى النقاط التي انطلق منها الأمير في تحقيق هدفه هو الانفتاح ودراسة تجارب الأمم السابقة والاطلاع على المعاصر منها دون نقلها وتبنها, فقد تأثر خلال زيارته لمصر باصلاحات الوالي محمد علي باشا وزيارته لبغداد باصلاحات داود باشا وسعى للاستفادة

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

من هذه الاصلاحات كتجارب ناجحة تحفز على نهضة جزائرية، فجاءت تجربة الأمير عبدالقادر الاصلاحية تجربة حضارية تسعى إلى التأثير في تشكيل الجماعة المحيطة بها بالدرجة الأولى وتعينها على ذلك المواهب التي اتيحت لصاحبها بما في ذلك المواهب العلمية والأدبية، فعبد القادر كان يسعى إلى تأسيس الدولة الحديثة في الجزائر وإلى تنظيم المجتمع على أساس من الاعتزاز بالقيم والمبادئ التي تتشكل منها هوية ذلك المجتمع وفي مقدمتها القيم الإسلامية العربية وإلى اذكاء روح الصلابة والمقاومة والاعتزاز بالقومية وقد نجح في ذلك نجاحاً كبيراً [11] حتى منعته ظروف الجهاد وما صحبه من عدم الاستقرار من الوصول في مهمته الاصلاحية إلى الهدف الذي رسمه لها [12] لكنه مع هذه ترك بصمات واضحة وراسخة لنهضة جزائرية المولد والنشأة كانت انطلاقة لكل اصلاح جاء بعدها.

فقد شرع فور وصوله الامارة إلى اعادة النظر في القوانين والعوايد الجائرة السابقة، وأنشأ مجلساً للشورى من العلماء والرؤساء, وهدم ((ما كانت الحكومة الجزائرية أسسته من المغارم والضرائب والعوايد ...)) [13] متعاملاً بعقلانية ومسايسة مع منافسيه ليعم الهدوء في الداخل الجزائري.فكرته في اصلاح وتأسيس جيش نظامي جزائري سعى فيها لأن يكون مستوعب لامكانيته جريء بالخطوات التي سيقدم عليها لتحقيق هدفه, فقد فتح باب التطوع أمام الجميع لأجل الجزائر, واستعان دون تردد بخبرات المدربين المراكشيين والتوانسة وحتى الأوربيين بل وحتى الفرنسيين [14].

وأقدم بخطوات ثابتة لاقامة علاقات حسن جوار مع سلطان مراكش, ومع الدول الأوربية وخاصة بريطانيا والولايات الأمريكية في مجال التجارة. ونجح من خلال هذه العلاقات أن يوصل للرأي العام العالمي السياسة الاستعمارية الجائرة التي يقوم بها المستعمر الفرنسي وكسب الكثير من الدعم لمشروعية المقاومة الجزائرية [15].دمقراطية اتخاذ القرار هذه السياسة التي طبقها مع المحيطين له لحل المسائل التي تهم الأمة الجزائرية كانت اشهاد لنورانية العقل الذي يحمله الأمير وتواضعه في اخلاقه ليدفع بالذين حوله ليكونوا حلقة متماسكة تدعمه في قراراته التي جعلته يخضع ثلثي مساحة الجزائر لسلطته وقانون دولته, ايماناً من الجميع بقيادته الحكيمة [16].

ان الاعمال المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والانسانية التي قدمها الأمير عبدالقادر لوطنه والعالم ككل تشيد وبقوة على عظمة هذه الشخصية المتكاملة

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

وفكرها النير [17] الذي تقبل المتغيرات الطارئة ودمجها بثوابت المجتمع الجزائري ليخرج بواقع جزائري يلامس روح العصر.

رابعاً: مقاومة المستعمر (تعدد في الاساليب لموافقة المعطيات)

لم يكن من السهل على الأمير قيادة الدولة والنكبات تتولى عليها, فالحملة الاستعمارية مستمرة مع التصدي للقبائل الثائرة ونقل السلطة من العثمانيين وملئ الفراغ السياسي [18], كل هذه الامور كانت تحتاج لموازنة وعمل منسق للخروج منها بنجاح. لكن التحدي الأكبر كان مواجهة المستعمر الفرنسي, ولمواجهته كان مقتنع بتغيير الأساليب ومؤمن بالطرق التي يتبعها ليحقق هدفه في مجابهة العدو.فقد أظهر براعة في رسم الخطط العسكرية وتنفيذها فأعتمد في البداية على التكتيك التقليدي المتمثلة بحرب الأنصار المعتمدة على عنصر المباغتة والبعد عن الميدان المكشوف [19]فحقق بهذا النوع من التكتيك الذي أبدع فيه الكثير من التقدم والانتصارات وقوي جانبه كثيراً. لكن هذا لم يكن ليجعله ثابتاً على أسلوب واحد لا يقبل التغيير فقد كان متقبل لمتغيرات الحرب وكفتي النصر والهزيمة التي دفعت به لتنويع اساليب المواجهة.

فقد لجأ الأمير في بعض الأحيان إلى مهادنة الفرنسيين, وذلك لكسب الوقت واستكمال قوته وتجهيز أنصاره بالسلاح [20]، وأن المهادنة طريقة لاستعادة الانفاس لجولة جديدة مرسومة النتائج وان تقبل هذا الأسلوب كان جديد ومستحدث عند الجزائريين وزعماء العشائر, وأن دل على شيء فهو يدل على الذهن المتفتح الذي يمتلكه الأمير ليتحول إلى دبلوماسي محنك ناضج الفكر, ليبدع في تعامله السياسي في الداخل الجزائري ومع العدو الفرنسي.

خامساً: تأصل المثل الإنسانية والاخلاقية بشخصية الأمير في كل مراحل حياته

أثبت الأمير عبدالقادر الجزائري سلوكاً إنسانياً ومثلاً اخلاقية طوال مراحل حياته شهد له بها كل من عايشه وعاصره وقرأ سيرته وإلى يومنا هذا واعترف له بها عدوه قبل صديقه. فالواقع أن الأمير اهتم كثيراً بموضوع الاخلاق فكراً وممارسة واستمر هذا الاهتمام في نموه وتصاعده تماشياً مع المراحل التاريخية لسيرة حياته, حيث ان الاشتغال الفكري للأمير كان مرتبطاً على الدوام بالبحث عن صفاء اخلاقي من خلال جلب الراحة النفسية والطمأنينة, مقابل واقع متبدل عاشه الأمير في المجاهدة على مستوى الهوية ومبررات الوجود [21].

والشواهد على خلقه واخلاقه النبيلة كثيرة, نستذكر البعض منها؛ أهمها وأكثرها أثراً في سلوكه بين قومه وثباته على تعاليم دينه السمحة وفي نفوس عدوه الذي أخذ يهابه ويحتاط

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

منه لفرط خلقه الحسن, كانت معاملته للأسرىأبرزها، فقد عامل الأسرى الفرنسيين معامل الضيوف الكرام فأشفق على النساء, حتى رفض الفرنسيين تبادل الأسرى خشية منهم عودة اسراهم وتحدثهم عن معاملة الأمير لهم فينقلبوا عليهم [22].

وكان للأمير موقفه المشرف من حوار الأديان ومن أوائل من طبقوا هذا النوع من السلام الإنساني في التعايش, وهذا ما طبقه على المسلمين والنصارى بسلوكه تجاههم عند وصوله لدمشق عام 1855 فحبب الناس به فكان منحه الهية لدمشق ولمن حولها من المدن, فكانت الناس تلجأ إليه لحل مشاكلها ويتوسط به للعفو عن المحكومين وكانت كلمته لا ترد عند الحكومة بل كان ولاة الأمر يتقربون اليه, فقد عالج فتنة دمشق الطائفية ووقف إلى جانب النصارى [23].

إن الهيبة القيادية التي بلغها الأمير على مستوى الزعامة التي وعرفها العالم وشهد بها, لم تنال اعتباطاً وإنما وقفت على فضائل خلقية مستمدة من روح الإسلام ومن روح تقاليد وعادات وقيم المجتمع الجزائري [24].

الخاتمة:

الأمير عبدالقادر الجزائري مفخرة ليس للجزائر فقط وإنما للأمة العربية والإسلامية جمعاء بل وأكثر من ذلك فهو أحد أفضل وأبرز النماذج للإنسانية في عصره.والأهم من ذلك ان مآثر هذه الشخصية أصبحت نموذج يصحح المفاهيم الخاطئ التي عمت العالم الآن حول رجل الجهاد والمقاومة المسلم انه لا يعني أن يكون متشدد ومنغلق ومتعصب ليذود عن دينه وقومه بل القائد المسلم الرافع للواء الجهاد هو مثال للإنسان الذي يحمل خلق الإسلام من نبل ورحمة ونصرة للمظلوم وكرم في الأخلاق حتى مع أعدائه. وهذا كله تجسد بشخصية الأمير عبدالقادر الجزائري النير الفكر العظيم الخلق.

وبهذا ممكن أن يكون الأمير شخصية نموذجية تدرس ويلقى الضوء عليها وبقوة للأجيال القادمة خاصة وأن بلادنا العربية والإسلامية تعيش موجة من العنف والتعصب وهي بحاجة لمثل هذه الشخصيات لتكون مدرسة اخلاقية ودينية في القيادة وفرض واقع التعايش السلمي في تلك البلدان.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

قائمة المراجع:

1- ابراهيم خليل أحمد: تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1516م-1916م, دار ابن الأثير للطباعة والنشر, موصل, 2005.
2- أحمد درويش: في صحبة الأمير بن أبي فراس الحمداني وعبدالقادر الجزائري, مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري, لام, 2000.
3- أحمد كمال الجزار: المخافر في معارف الأمير الجزائري عبدالقادر والسادة الأولياء الأكابرة, لام, 1997م.
4- سيار كوكب علي الجميل: تكوين العرب الحديث 1516-1916, دار الكتب للطباعة والنشر, الموصل, 1991.
5- محمد خير فارس: تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الجزائري, دار الشروق, بيروت, 1969.
6- محمود إحسان الهندي: الحوليات الجزائرية, العربي للاعلان والنشر والتوزيع والطباعة, دمشق, 1977.
7- ودان بوغوفالة: الأمير عبدالقادر عبقرية في الزمان والمكان, مكتبة الرشاد للطباعة والنشر, الجزائر, لات.

الإحالات:

(1) أحمد كمال الجزار: المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبدالقادر والسادة الأولياء الأكابرة, لام, 1997م, ص19 ؛ ابراهيم خليل أحمد: تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1516م-1916م, دار ابن الأثير للطباعة والنشر, موصل, 2005, ص ص283-284.

(2) أحمد: تاريخ الوطن العربي, ص284.

(3) الجزار: المفاخر, ص19.

(4) أحمد درويش: في صحبة الأميرين أبي فراس الحمداني وعبدالقادر الجزائري, مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري, لام, 2000, ص146.

(5) الجزار: المفاخر, ص22.

(6) المصدر نفسه, ص ص22-23.

(7) سيار كوكب علي الجميل: تكوين العرب الحديث 1516-1916, دار الكتب للطباعة والنشر, الموصل, 1991, ص410.

(8) محمود إحسان الهندي: الحوليات الجزائرية, العربي للاعلان والنشر والتوزيع والطباعة, دمشق, 1977, ص86.

(9) محمد خير فارس: تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الجزائري, دار الشروق, بيروت, 1969, ص235.

(10) فارس: تاريخ الجزائر الحديث, ص241.

(11) درويش: في صحبة الأميرين, ص8.

(12) الهندي: الحوليات الجزائرية, ص86.

(13) فارس: تاريخ الجزائر الحديث, ص235.

(14) الهندي: الحوليات الجزائرية, ص ص93-96.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

([15]) عن ذلك ينظر: ودان بوغوفالة: الأمير عبدالقادر عبقرية في الزمان والمكان, مكتبة الرشاد للطباعة والنشر, الجزائر, لات, ص ص67-80.

([16]) المصدر نفسه, ص126.

([17]) المصدر نفسه, ص125.

([18]) بوغوفالة: المصدر نفسه, ص126.

([19]) الجميل, تكوين العرب, ص284.

([20]) أحمد, تاريخ الوطن العربي, ص284.

([21]) ابوغوفالة: الأمير عبدالقادر عبقرية في الزمان والمكان, ص138.

([22]) الجزار: المفاخر في معارف الأمير, ص35.

([23]) الجزار: المصدر نفسه, ص38.

([24]) المصدر نفسه, ص124.